على نفي كلام ثان قديم ولم يمتنع التكلم بالامر والنهي والخبر وغيرها بكلام واحد فحكمنا بانه
واحد ازلي لا يتعلق فيه بجميع المتعلقات كما في سائر الصفات وان كانت العقول قاصرة
عن ادراك كنه هذا المعنى واذا حققت هذا فالامر كذلك في الذات وجميع الصفات
وقد يستدل على وحدة الكلام بانه لو تعدد فلم ينحصر في عدد لان نسبة الموجب
الى جميع الاعداد على السواء حاصله ان الكلام الازلي صفة واحدة سواء عبر عنها
بما يسمى بالقرآن او بما يسمى بالتوراة او بما يسمى بغيرها لا تكثر فيها وانما التكثر والتعدد
في التعلقات بحسب المتعلقات العارضة هي لها فيما لا يزال وان كان بعض مدلول
تلك التعلقات ازليا مثل قل هو الله احد مع انا ارسلنا نوحا مع تبت يدا ابي
لهب فهو في الازل منقسم الى تعلقات شتى وذهب عبد الله بن سعيد القطان
الى انه في الازل واحد وليس شيئا من الاقسام الاتيه وانما يصير احدها فيما لا يزال
واعترض بانه يلزم عليه وجود الجنس من غير وجود احد انواعه وذلك ليس
بمعقول وايضا يلزم عليه تغير القديم وهو محال واما الجواب عنه بانه
انما اراد انه امر واحد يعرض له احد تلك التعلقات الحادثة من غير ان يتغير
في نفسه فهو دافع للمحالات وقد اطبقوا على عده خلافا لفظيا سلبا وذهب فخر الدين
الرازي الى انه في الازل خبر فقط ومرجع البواقي اليه لان الامر بالشيء اخبار بتحقق
ظاهر الثواب وتاركه العقاب والنهي بالعكس وعلى هذا القياس وضعفه
لانا نعلم اختلاف هذه المعاني بالضرورة وغاية ما فيه ان ذلك لازم للامر والنهي
لا حقيقتهما واستلزام البعض للبعض لا يوجب الاتحاد فان قلت حقه
ذهب الى وحدة الكلام الازلي كما مر ذكر فاي قرينة تعين احدها قلت
اللام عند اطلاقه ينصرف للمعهود من مدلولاته عند الاشتراك او الكامل منها و ليس
ذلك الا ما ذهب اليه امام الحرمين بلا ريب فان قلت اثبات التعلق ازلا للكلام
الازلي يلزمه انقسامه الى امر ونهي واخبار واستخبار ونداء وغير ذلك فيلزم
الامر بلا مامور والنهي بلا منهي والاخبار بلا سامع والنداء والاستخبار بلا مخاطب
وكل ذلك سفه وعبث لا تجوز نسبته الى الحكيم تعالى وتقدس قلت هذا سؤال
صعب وللقوم عنه اجوبة منها ما ذهب اليه عبد الله بن سعيد القطان
من ان كلامه في الازل ليس بامر ولا نهي ولا خبر ولا غير ذلك وانما يصير احد
هذه الاقسام فيما لا يزال وقد مر ما فيه ومنها ان وجود المخاطب والشاهد
انما يلزم لنفي العبث في الكلام الحسي واما النفسي فيكفي في انتفائه عنه وجوده
العقلي والعلمي ومنها ان السفه والعبث انما يلزم لو خوطب المعدوم وامر
حال عدمه واما لو خوطب على تقدير وجوده وصيرورته اهلا لتحصيله بان يكون
طلبا للفعل ممن سيكون فلا كما في طلب الرجل من ولده الذي اخبره صادق بانه سيولد
بان

١٤١ يولد م

بان يكتسب الفضائل ويجتنب الرذائل وكما في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم بالاوامر
والنواهي كل مكلف الى يوم القيامة اذ اختصاص خطاباته باهل عصره وثبوت الحكم
في غيرهم بطريق القياس بعيد جدا نعم لو قيل خطاب الحاضرين قصدا والغائبين
والمعدومين ضمنا وتبعا ليس من السفه والعبث في شيء لكان شيئا قال سعد الملة
والدين واعلم ان هذا الجواب هو المشهور من الجمهور وكلامهم متردد في ان معناه
ان المعدوم مامور في الازل بان يمتثل ويأتي بالفعل على تقدير الوجود او المعدوم ليس
بمامور في الازل لكن لما استمر الامر الازلي الى زمان وجوده صار بعد الوجود مامورا
ومنها ان السفه هو ان يخلو الحادث عن الحكمة والعاقبة الحميدة وما يتعلق بها
والقديم ليس كذلك اذ لا يطلب لثبوته حكمة وغرض ومنها ان السفه والعبث
هو الخلو عن الحكمة بالكلية والامر الازلي ليس كذلك لترتب الحكمة عليه فيما لا يزال
فان قلت يلزم على ثبوت التعلقات الازلية للكلام الكذب في اخباره تعالى
لان الاخبار بطريق المضي كثير في كلام الله تعالى مثل انا ارسلنا وقال موسى
وعصى فرعون الى غير ذلك وصدقه يقتضي سبق وقوع النسبة ولا يتصور السبق
على الازلي فتعين الكذب وهو محال اما اولا فباجماع العقلاء واما ثانيا فلتواتر
اخبار الانبياء الثابت صدقهم بدلالة المعجزات من غير توقف على ثبوت كلام الله
تعالى فضلا عن صدقه واما ثالثا فلان الكذب نقص باتفاق العقلاء وهو على الله
تعالى محال ولما فيه من امارة العجز او الجهل او العبث واما رابعا فلانه لو اتصف
في الازل بالكذب في خبر ما لامتنع صدقه فيه لان ما ثبت قدمه امتنع عدمه لكنا
نعلم بالضرورة ان من علم النسبة لا يمتنع عليه ان يخبر عنها على ما هي عليه وطريق
اطراد هذا الوجه في كلامه المنتظم من الحروف المسموعة انه عبارة عن كلامه الازلي
ومرجع الصدق والكذب الى المعنى واما وجه ان الكذب نقص ففي كلام البعض
انه لا يتم الا على راي المعتزلة القائلين بالقبح العقلي قال امام الحرمين لا يمكن التمسك
في تنزيه الرب تعالى عن الكذب بكونه نقصا لان الكذب عندنا لا يقبح لعينه
وقال صاحب التلخيص الحكم بان الكذب نقص ان كان عقليا كان قولا بحسن الاشياء
وقبحها عقلا وان كان سمعيا لزم الدور ولا يخفى ما في كلامه لانه مبني على ان مرجع
الادلة السمعية الى كلام الله تعالى وصدقه وان تصديق النبي عليه الصلاة والسلام
بالمعجزة اخبار خاص وفيه ما هو معلوم قلت اجيب بان كلامه في الازل لا يتصف
بالماضي والحال والمستقبل لعدم الزمان وانما يتصف بذلك فيما لا يزال بحسب التعلقات
وحدوث الازمنة والاوقات ولكن السعد حقق هذا مع القول بان الازلي
مدلول اللفظي عسر جدا وكذا القول بان المتصف بالمضي وغيره انما هو اللفظ
الحادث دون المعنى القديم انتهى فان قلت يلزم على جعل هذه التعلقات ازلية

Copyright © King Saud University